

اللغوية وبين الأداء الكلامي؟ وهل يقتصر هذا التمييز على التمييز بين المعرفة باللغة وبين استعمال هذه المعرفة في السلوك الكلامي، أم يتعداه باتجاه توسيع مجال فهمنا اللغة من حيث هي حقيقة عقلية، من جهة، وباتجاه تطوير دراستنا إياها من حيث هي وسيلة تواصل وأداة تعبير من جهة ثانية؟

إن الكفاية اللغوية هي المعرفة الضمنية بقواعد اللغة، وهي بالتالي، بمنزلة ملكة لا شعورية تجسّد الأداء الكلامي - أي العملية الآنية التي يقوم بها متكلّم اللغة فيصوغ جملة طبقاً لتنظيم القواعد الضمنية. وعلى الأسني الباحث في هذا المجال أن يدرس هذه الكفاية اللغوية، وأن يتوصّل من ثم إلى معرفة مباشرة بالقواعد الكامنة ضمنها. ففي الواقع، لا يمتلك المتكلّم معرفة واعية ومباشرة بالقواعد التي تخضع لها عملية التكلّم. إنما الكفاية اللغوية هي التي تتيح له أن يلمّ بصورة كافية بنواحي استعمال لغته بحيث لا يقع في الأخطاء. والجدير بالذكر، هنا، أن الكفاية اللغوية تعزى إلى منطقة اللاوعي عند الإنسان وتتصف بطابع اللاشعور. فترتدّ اللغة، من هذا المنظور، إلى عملية تحقيق ضمني ولاشعوري لسياق الكلام الذي يعيه متكلّم اللغة بقدر ما ينطق به. في حين يرتدّ الكلام الملحوظ إلى الأداء الكلامي.

من هذا المنطلق العملي نفهم بالذات، القواعد على أنها التنظيم المحرّك لآلية التكلّم والكامن ضمن الكفاية اللغوية. واحتكاماً إلى هذه الفرضية تكون الكفاية اللغوية بمنزلة امتلاك الآلية اللغوية، بينما يكون الأداء الكلامي حصيلة عمل هذه الآلية، أو بمعنى آخر نتيجة العمل التواصلي في مجمله، أي الكلام الذي يتفوّه به المتكلّم، ويسمعه المستمع فيفسّره. فاللغة في ظل النظرية الألسنية التوليدية والتحويلية، مسار عقلي ودينامي. إذ إنّ وراء السلوك اللغوي الظاهر الذي يتجلّى ويتمظهر في الأداء الكلامي الملحوظ مباشرة، يكمن في ذهن الإنسان وضمن الكفاية اللغوية التنظيم المحرّك والذي يحدّد هذا السلوك ويوجّهه.

إنّ الدراسة الألسنية تولى جلّ اهتمامها إلى دراسة الكفاية اللغوية من حيث هي القدرة المجرّدة على إنتاج الجمل، وتحاول بالتالي، التوصل إلى وضع القواعد الكامنة فيها. وتكوّن القواعد التوليدية والتحويلية نظريةً تتناول معارف المتكلم الخاصة في مجال اللغة، وهي ليست بالتالي، فرضيةً تفسّر إجراءات واستكشافات وأليات مستعملة في إنتاج الجمل، إنما هي نظرية حول معرفة المتكلم الضمنية في مجال اللغة.

ما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن الكفاية اللغوية ينطبع عليها الإنسان منذ طفولته